

أضواء البيان

@ 14 وما ذكره جلّ - وعلا في هذه الآية الكريمة من أن الكفار كذبوه وادّعوا عليه أن القرآن كذب اختلقه ، وأنه أعانه على ذلك قوم آخرون جاء مبيّنًا في آيات أخر ؛ كقوله تعالى : { وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّنْهُمْ وَمَقَالِ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ } ، وقوله تعالى : { وَإِذَا بَدَأْنَا آيَةً مَّا كَانَ آيَةً لِلَّهِ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزَّلُ قَالُوا إِنَّ نَزْمًا لَّآنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } ، وقوله تعالى : { بَلْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذَّابًا } ، وقوله تعالى : { وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ } ، والآيات في ذلك كثيرة معلومة . .

وما ذكره جلّ - وعلا في هذه الآية الكريمة من أنهم افتروا على النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه أعانه على افتراء القرآن قوم آخرون جاء أيضًا موضحًا في آيات أخر ؛ كقوله تعالى : { وَلَقَدْ زَعَمُوا نَعْلَمُ أَنْزَلَهُمْ بِقَوْلُونَ إِنْزَامًا يُعَلِّمُهُمْ بِشَرِّهِ } ، وقوله تعالى : { فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ } ، أي : يرويه محمد صلى الله عليه وسلم عن غيره { إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْيَشْر } ، وقوله تعالى : { وَلَيَقُولُوا دَرَسْتَ } ، كما تقدّم إيضاحه في (الأنعام) ، وقد كذبهم الله جلّ - وعلا في هذه الآية الكريمة فيما افتروا عليه من البهتان بقوله : { فَقَدْ جَاءُوا طُلَامًا وَزُورًا } ، قال الزمخشري : ظلمهم أن جعلوا العربي يتلقن من الأعجمي الرومي كلامًا عربيًّا أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب ، والزور هو أن بهتوه بنسبة ما هو بريء منه إليه ، انتهى . وتكذيبه جلّ - وعلا لهم في هذه الآية الكريمة ، جاء موضحًا في مواضع أخر من كتاب الله ؛ كقوله تعالى : { لَسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ } ، وقوله تعالى : { وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ } ، وقوله تعالى : { فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْيَشْر * سَأُصَلِّيهِ سَقَرًا * } ، وقوله : { سَأُصَلِّيهِ سَقَرًا } ، لأن قوله : { سَأُصَلِّيهِ سَقَرًا } بعد ذكر افتراءه على القرآن العظيم يدلّ على عظم افتراءه وأنه سيصلى بسببه عذاب سقر ، أعادنا الله وإخواننا المسلمين منها ، ومن كل ما قرب إليها من قول وعمل . .

واعلم : أن العرب تستعمل جاء وأتى بمعنى : فعل ، فقوله : { فَقَدْ جَاءُوا طُلَامًا } ، أي : فعلوه ، وقيل : بتقدير الباء ، أي : جاءوا بظلم ، ومن إتيان أتى بمعنى فعل قوله

تعالى : { لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْعُرُونَ بِمَا اتَّوَعَّا } ، أي : بما فعلوه .
وقول زهير بن أبي سلمى